بسملة

البصيرة . . والسلام العالمي

■ الشيخ حسين كوراني

كربلاء مدرسة العدالة الإجتماعيّة والسلام العالمي .

وتحت شعار "يا لثارات الحسين" ستقوم الحكومة العالميّة الواحدة على يد المهديّ المنتظَر ، آخر أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ليتحقّق وعد الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ التوبة : ٣٣ . ﴿ . . وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ الصف : ٨ .

هل يمكن تحقيق العدالة الإجتماعيّة في غير مناخات السلام؟ وهل يمكن تحقيق السلام بدون ممانعة وجهاد؟ وهل يمكن بناء جبهة الممانعة وتحصينُها ، بدون تحديد مقوّمات البناء النفسي السليم وتحصينه؟ ألا يُعتبر هذا البناء مدخلاً حصريّاً لِرَفدِ سُوحِ الجهاد بمواكب إحدى الحُسْنَيَيْن ، حَمَلَةِ راية الجهادين الأكبر والأصغر في دروب : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ . . ﴾ البقرة : ١٩٣ . هنا تتجلّى حاجة البشريّة إلى مدرسة كربلاء المحمّديّة : «حسين منّي وأنا من حسين» . وفي سياق الحاجة إلى كربلاء ، تتجلّى الحاجة إلى مقوّمات البناء النفسي : الثقافي والأخلاقي ، ليتشكّل في النفس والمجتمع مناخ الجهاد .

وأبرز مقوّمات مناخ الجهاد ، سلامة البناء النفسي الممانع . ولا تتحقّق هذه السلامة إلاّ بالحزم والحسم في البراءة من جبهة الفتنة والإستعباد ، بل وإعلان هذه البراءة مدوّيةً مُجَلجِلة ، دون أدنى تردُّد أو تذبْذُب ، على غِرار ما تصدَحُ به حناجر الممانعين اليوم : ألموت لأمريكا . ألموت لإسرائيل . هذا الحسم في البراءة من الأعداء هو السِّياق الفطري ، وهو سُنَّة الله لا تحويل فيها ولا تبديل : ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ الأحزاب : ٦١ – ٦٢ . الجهاد ضرورة لتحقيق السلام ، والسلام النفسي مناخ الجهاد ، وهو يتوقّف على الموقف الحاسم في البراءة من الأعداء ، وثقافتهم وكلّ مناخاتهم وإفرازاتها ، لتكتمل دورة الممانعة ، فيتحقّق التأهيل للجهاد والقتال لِوَأْدِ الفتنة وإقامة السلام الإجتماعيّ .

من مراتب الممانعة : ١ – وَعْي الحقائق . ٢ – اليقين الثقافيّ ، ووضوح الرُّؤية .

٣ – الدعوة إلى الحقّ على بصيرة ، فالبصيرة هي الإكتمال العملي لوضوح الرؤية النظريّة ، وبلوغُ مرتبة إستحقاق التثبيت .

ومن مراتب الجهاد : جهاد القلب ، ثمّ اللسان ، فاليد .

***

تتلازم البصيرة مع سلامة الموقف . نقصُ البصيرة نقصٌ في الموقف ، وزيادتها زيادة في سلامته . في كربلاء ، انتدَبَ الحسين شيخَ القُرَّاء "بُرَيْرُ بن خُضَيْر" لمخاطبة الكوفيّين ، قبل نشوب الحرب ، فأَبْلَغَ في النُّصح ، وبالغوا في العَشى والعَمى ، وقال بُرَيْر : «الحمدُ لله الذي زادني فيكم بصيرة» .

ويتماهى أوّل مراتب البصيرة بالحقّ ، مع جهاد القلب ، لِترتسم بذرة البراءة من الباطل . وبمقدار ما تنمو هذه البذرة ، يكون التزامُ الحقّ في صفحة القلب . وهي الميدان الأوّل في دروب الجهاد . إنّهما في القلب نجدان ومساران : حقٌّ وباطل ، لا يلتقيان . ﴿ . . . فضُرِب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ الحديد : ١٣ . القلب بينهما كالباب ، إنْ فُتح على جهة أُغلق عن الثانية . ولا يكتمل سدُّ الباب عن الباطل ، إلاّ بزيادة البصيرة لتكتمل البراءة ، وتكتمل ولاية الحقّ .

***

يتولّى القلبُ الحقَّ بمقدار ما يُوَلّي عن الباطل ويتبرّأ منه . ويتولّى القلبُ الباطل ، بمقدار ما يُوَلّي عن الحقّ ، ويبرأ من "تُهْمَتِه" ! والمبدأ المُهَيْمِن : ﴿ نُوَلِّهِۦ ما تولّى ﴾ ، ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء : ١١٥ .

مُشاقَّة الرّسول حرب على المرسَل، وبراءة من الحقّ المرسِل، وولاية للباطل. وسبيل المؤمنين، سبيل العقل وطاعةِ الرّسول، وتولّي الحقّ.

ولا يمكن الجمع في النّفس بين التولّي والبراءة، لذلك ليس في جبهة الحقّ – ولا في جهة الشرّ – مكان للتلفيقيّين بين الخير والشرّ، والنور والظلام، والموقف واللاّموقف. يؤكّد أنّ التلفيق واللاّموقف خليطٌ من الحقّ ومن الباطل قولُ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إنّ الحقّ لو خَلُصَ لم يكُن اختلاف، ولو أنّ الباطل خَلَصَ لم يَخْفَ على ذي حِجى، لكنّه يُؤخذ من هذا ضِغْثٌ ومن هذا ضِغْثٌ، فيُمزَجان فيُجعلان معاً، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سَبَقَت لهم من الله الحسنى». ولا يتحقّق الخلوص إلا بانعدام المزج بين الحقّ والباطل. أدْنى مزج بينهما – ولو مثقال ذرّة – يمنع من صدق "مَحْض الولاء للحقّ" فهو "شَوْبُ شِرْك" ومرتبةٌ من "ازدواجيّة الولاء" تكشف أنّ وجه القلب يَمّم شَطْرَ الباطل، وسيحكم النتائج قانون: ﴿نوَلّه ما تولّى﴾. ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٤٢–١٤٣.

***

حبّ ما تتولاّه شرط كمال "التولّي". وتعاهدُ هذا الحب ورعايتُه، شرطُ تَحَوُّلِ القلب من "مُسْتَوْدَع" إلى "مُسْتَقَرّ" ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ..﴾ الأنعام: ٩٨. وبمقدار ما تتسمّر عين الحب على الحبيب، يكون الإعراض عن الأغيار. والإعراض رحلة براءة من تهمة "الحب الكاذب" أو "الكذب في الحب" ولهذه الرحلة منازل ومقامات، أوّلها "الندم" وآخرها.. "اللّعن". حالُ "اللّعن" علامة كمال البراءة والإعراض والصُّدود، لا المقال. ولا يكتمل الحال إلاّ بالمقال: ﴿..فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ..﴾ البقرة: ٢٥٦، قولوا: "لا إله.. إلا الله".

إنّ أدنى ثغرة في حال كمال البراءة، ولو "مثقال حبة من خردل" يعني أنّ القلب ترك في الباب مَسرَباً، قد يتسلّل منه الباطل، لينتشر – أو يعاود – كما تعاود الخلايا الضارّة انتشارها من بقايا خليّة. ليس اللّعن قتلاً. إنّه إنذار باستحقاق القتل لِمَن استحقّ، وإنذار لِمَن يداهنه، أو يُوادُّه، وتحصين للمعافى من لَوْثة العدْوَى.

***

من المفارقات أن نجد بين مَنْ لا يُنكرون أصل القتل والإعدام قصاصاً للخيانة العظمى، مَن يستنكر اللّعن، وينادي بالوَيْل والثّبور وعظائم الأمور لمجرد سماعه باللّعن. كأنّ خيانة الفِكْر أهوَن من خيانة الوطن. ومن المفارقات الأشدّ غرابة أن نجد بين مَن يَعتبرون – بحقّ – أنّ الصهيونيّة مرض البشريّة السرطانيّ ولا شفاء منه إلاّ بالإستئصال، مَنْ يستفظِع "اللّعن". ومن المفارقات أن نجد بين مَن يُنكِرون اللّعن ويستنكرونه، مَن يعتقدون بالحرب الدفاعيّة وسيلة للتحرّر من الهيْمَنة الأميركيّة. ألا نلمح في هذه المفارقات محاولة تأصيل ثقافي مدروس، يرفد في العمق فِرْيَة "محاربة الإرهاب"، دون تفريق بين المقاومة "الإرهاب المشروع"، وبين البطش وقتل الأبرياء. كما هو الفرق بين "الإرهاب" والمقاومة، كذلك هو الفرق كبير جداً بين اللّعن المشروع واللّعن المزاجيّ. بين اللّعن كمبدأ قرآنيّ، واللّعن الغرائزيّ. بل علينا أن نلمح فنتدبّر ونطيل التأمّل في العلاقة بين نشر ثقافة "محاربة الإرهاب" على الطريقة الصهيو – أميركيّة، وبين "محاربة اللّعن" التي تهدف إلى استئصال إمكانية حسم الموقف حتى في دائرة النفس، فضلاً عن إعلان البراءة المدويّة، وحمل راية القتال لِوَأْدِ الفتنة ونشر السلام. تجدر الإشارة هنا إلى خطورة الإسترسال – دون حذرٍ شديد – في جعل أبرز محاور الحركة الثقافيّة موضوعات: الشفافية، الحوار، الإنفتاح الثقافي، وغيرها ممّا يمكن استغلاله لبناءِ ثقافيّ هجينٍ، مساومٍ، يعجز عن تحديد الموقف السليم، فضلاً عن روح "الممانعة" و"الجهاد".

***

ملاك التفريق هو أن اللّعن علامة كمال البراءة من الباطل والتعافي منه، ليتحقّق خلوص الحقّ في النفس وحركة الحياة، الأمر الذي يُحتّم أن يكون اللّعن بكلّ مناخاته وتعبيراته حقّاً ينعم برضا الحقّ. والحقّ يقول: «مَن أهانَ لي وليّاً فقد أرصَدَ لمحاربتي». وفي تحديد الوليّ، حديث للحسين عليه السلام عن أبيه عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تَستصغِرَنَّ شيئاً من طاعته، فربّما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطَه في معصيته، فلا تستصغرنَّ شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرنَّ شيئاً من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليَّه في عباده، فلا تستصغرنَّ عبداً من عبيد الله، فربّما يكون وليَّه وأنت لا تعلم».

نستنتج أنّ اللّعن "تعبُّدي" وعبادة، فلا يجوز لعن إلاّ مَن ثبت أنّ الله تعالى قد لعنه. والعنوان العامّ لِمَن يستحق اللّعن – كما تقدّم – : ﴿مَن يشاقق الرسول﴾. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ الأحزاب: ٥٧